الباب الثالث

الضوابط اللازمة للتعامل مع قضية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

الباب الثالث

الضوابط اللازمة للتعامل مع قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

أولاً: تعريف لفظة «الإعجاز»

(الإعجاز) لفظة مشتقة من إثبات (العَجْز) وهو الضعف وعدم القدرة. يقال:

(عَجَز) عن كذا: أي لم يقدر عليه، فهو (عَاجِزٌ) عن الإتيان به، وجمعه (عواجز). يقال: (عَجَز) (عَجْزًا) و(عُجُوزًا)، و(عَجَزَانًا) و(مَعْجَزًا) بفتح الجيم وكسرها، و(مَعْجَزَةً) أيضًا بفتح الجيم وكسرها، ولذا يقال: رجل (عَجُزٌ) بضم الجيم وكسرها أي (عاجزٌ)، وامرأة (عاجزة) و(عاجز)، كما يقال: (عجزه) الشيء أو الأمر بمعنى فاته ولم يقدر عليه.

ويقال: (عَجَّزَهُ) و(أعْجَزَهُ) و(استَعْجَزَهُ) أي صَيَّرَهُ (عَاجزًا) نسبة إلى (العجز)، وتستعار لمعنى التثبيط أي بمعنى ثبطه.

كما يقال: (عَاجَزَهُ) (مُعَاجَزَةً) أي سابقه مسابقة، و(تَعَجَّز) أي ادعى (العَجَز)؛ و(الأعجز) هو العظيم العَجُز، ومؤنثه (العَجْزَاء)؛ و(المعْجَازُ) هو الدائم العجز، و(المعجوز) الذى (أعْجز).

ويقال: (عَجَز) (عُجُوزًا) أي صار (عجوزًا)، و(العجوز) وجمعه (عُجُزٌ) و(عجائز) المرأة المسنة.

(والعَجزُ) وجمعه (أعجاز) مؤخر الشيء أو الجسم (وتكتب بفتح الجيم وكسرها وضمها وبفتح العين وضم الجيم أوكسرها)، (وَعَجُزُ) بيت الشعر هو الشطر الثاني منه، و(أعجاز) النخل هي أصولها.

ويقال: (أعجز) فى الكلام أى أدى لمعانيه بأبلغ الأساليب. و(الإعجاز) بمعنى السبق والفوت مصدر من (أعجز).

وعلى ذلك تُعَرَّفُ (المعجزة) وجمعها (المعجزات) بأنها الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، المقرون بالتحدى لعجز البشر عن الإتيان بمثله.

«و(إعجاز) القرآن الكريم» معناه (عجز) الخلق أجمعين - إنسهم وجنهم، فرادى ومجتمعين - عن أن يأتوا بشيء من مثله، ولذلك أنزل ربنا - سبحانه وتعالى - فى محكم كتابه هذا التحدى الأزلى الذى يقول فيه:

* ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ويقول سبحانه وتعالى:

* ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣ - ٢٤].

* ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٧ - ٣٨].

* ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

* ويؤكد الله - سبحانه وتعالى - على كمال القرآن الكريم فيقول: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

ويقول سبحانه وتعالى:

* ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٨٠].

* ﴿بلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

* ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

والقرآن الكريم كتاب معجز فى بيانه ونظمه، معجز فى فصاحته وبلاغة أسلوبه، معجز فى كمال رسالته ودقة مضمونه، وقد أنزل للناس كافة بدين الإسلام الذى علمه ربنا - سبحانه وتعالى - لأبينا أدم ﷺ لحظة خلقه، وكرر إنزاله على عدد من أنبيائه ورسله، وأكمله وأتمه وحفظه، فى هذه الرسالة الخاتمة المنزلة على خاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين -. وعلى ذلك فالقرآن الكريم معجز فى مجموع العقائد التى يدعو إلى الإيمان بها، وفى مجموع العبادات التى يأمر بأدائها، معجز فى دستوره الأخلاقى الفريد، وفى كل تشريع من تشريعاته الناطقة بدقتها، وعدلها، وشموليتها وتفاصيلها......!!

والقرآن الكريم معجز كذلك فى استعراضه التاريخى لعدد من الأمم السابقة، ولكيفية تعاملها مع رسل ربها، ولأسلوب مكافأتها أو عقابها، معجز فى أسلوبه التربوى، وخطابه النفسى، وفى إنبائه بالغيب، وفى إشاراته العديدة إلى الكون ومكوناته وظواهره.

وهذا الجانب الأخير من جوانب الإعجاز فى كتاب الله هو المقصود بتعبير «الإعجاز العلمى للقرآن الكريم» ويقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره، التى لم يتمكن العلم الكسبى من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم تزيد على العشرة من القرون الكاملة فى أقل تقدير لها. ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدراً غير الله الخالق - سبحانه وتعالى - وفى إثبات ذلك تأكيد لأهل العلم فى عصرنا أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه

ورسله، وتصديق للنبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ في نبوته ورسالته، وفي التبليغ عن ربه.

والإعجاز العلمي للقرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشه. وقد سبق للقرآن الكريم الإخبار بتحقيق وقوعه في حياة الناس من قبل أربعة عشر قرنًا، وذلك في العديد من آياته التي نختار منها قوله ـ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

* ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

[سبأ: ٥ ـ ٦].

* ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

* ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[النساء: ١٦٦].

* ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

* ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦ ـ ٦٧].

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ ـ ١٤].

* ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦].

* ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣].

* ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٧ ـ ٨٨].

من الضوابط اللازمة للتعامل مع قضية الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

من الاستعراض السابق يتضح لنا بجلاء أن إثبات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى عصر التقدم العلمى والتقنى الذى نعيشه هو من مواقف التحدى للناس كافة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ بأن كتابًا أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبى أمى ﷺ وفى أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين ـ فإن هذا الكتاب ـ يحوى من حقائق الكون ما لم يتوصل إليه الإنسان إلا فى العقود المتأخرة من القرن العشرين بعد مجاهدات طويلة خاضها عشرات الآلاف من العلماء، واستمرت وقتًا طويلاً. والمتحدى لا بد وأن يكون واقفًا على أرضية صلبة، وعلى ذلك فلا يجوز توظيف شىء فى هذا المجال غير الحقائق القطعية الثابتة حتى يبلغ التحدى مداه فى مجال إثبات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم.

وهذا الالتزام واجب حتمى فى التعرض للآيات الكونية فى كتاب الله باستثناء آيات الخلق بأبعاده الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان. وذلك لأن عملية الخلق عملية غيبية لم يشهدها أحد من الإنس والجن فلا تخضع للإدراك المباشر من الإنسان، وفى ذلك يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١].

ولكن القرآن الكريم الذى جاء بهذه الآية الكريمة يأمرنا ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ فيه بضرورة التأمل فى قضية الخلق ـ وهى قضية غير مشاهدة من قبل الإنسان ـ وذلك فى عدد غير قليل من الآيات التى منها قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[العنكبوت: ١٩ ـ ٢٠].

وقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

والجمع بين هذه الآيات الكريمة ـ وأمثالها كثير فى كتاب الله ـ يؤكد على أن خلق كل من السماوات والأرض، وخلق الحياة، وخلق الإنسان قد تم فى غيبة كاملة من الوعى الإنسانى، ولكن الله من رحمته قد أبقى لنا فى صخور الأرض وفى صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان ـ بإمكانياته المحدودة ـ على الوصول إلى تصور ما لعملية الخلق، إلا أن هذا التصور يبقى فى مجال الفروض والنظريات، ولا يمكن أن يرقى إلى مقام الحقيقة أبدًا؛ لأن الحقيقة العلمية لا بد أن تكون واقعة تحت حس الإنسان وإدراكه ـ على الرغم من محدودية ذلك الحس وهذا الإدراك ـ ومن هنا فإن العلوم المكتسبة لا يمكن أن تتجاوز فى قضية الخلق ـ بأبعادها الثلاثة ـ مرحلة التنظير أبدًا، ولذلك تتعدد النظريات فى قضايا الخلق بتعدد خلفيات واضعيها: هل هم من المؤمنين، أو من الكفار، أو المشركين، أو المتشككين؟ وهل هم من السعداء فى حياتهم أم من التعساء والأشقياء والمهمومين؟ وهل هم من الأسوياء أم من المنحرفين؟.. وفى هذا الخضم العميق يبقى للمسلم نور من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى آية قرآنية كريمة، أو حديث نبوى صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ يعينه على الانتصار لإحدى هذه النظريات، والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة، لا لأن العلوم المكتسبة قد أثبتت ذلك، ولكن لمجرد

وجود إشارة إلى تلك الحقيقة فى كتاب الله الخالق أو فى سنة رسوله ﷺ . ونحن فى هذه الحالة نكون قد انتصرنا للعلم بالقرآن الكريم أو بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، ولم ننتصر بالعلم لأىّ منهما .

أما باقى الآيات الكونية الكريمة التى تعرض لها القرآن الكريم - وأغلبها من الآيات الوصفية - فلا يجوز أن يوظف فى الاستشهاد على سبقها العلمى إلا الحقائق القطعية الثابتة التى لا رجعة فيها ، وبالضوابط المنهجية التالية :

١ - حسن فهم النص القرآنى الكريم وفق دلالات الألفاظ فى اللغة العربية ، ووفق قواعد تلك اللغة ، وأساليب التعبير فيها ؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد أنزل بلسان عربى مبين .

٢ - فهم أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ - إن وجدا - وفهم الفرق بين العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمفصل ، من آيات هذا الكتاب الحكيم .

٣ - فهم المأثور من تفسير المصطفى ﷺ والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى الزمن الحاضر .

٤ - جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت .

٥ - جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد ، ورد بعضها إلى بعض بمعنى فهم دلالة كل منها فى ضوء الآخر ؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا ، كما يفسره الصحيح من أقوال رسول الله ﷺ ، ولذلك كان من الواجب توظيف الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الآية المتعامل معها كلما توفر ذلك .

٦ - مراعاة السياق القرآنى للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية ، دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده .

٧ - مراعاة قاعدة : أن العبرة هى بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

٨ ـ عدم التكلف، أو محاولة ليّ أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية وذلك لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك؛ لأنه كلام الله الخالق، وعلم الخالق بخلقه هو الحق المطلق، الكامل، الشامل، المحيط بكل علم آخر، وهو العلم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٩ ـ عدم الخوض فى القضايا الغيبية غيبة مطلقة كالذات الإلهية والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليمًا إيمانيًا كاملاً انطلاقًا من الإيمان بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، وبعجز الإنسان عجزًا كاملا عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.

١٠ ـ التأكيد على أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وأنها لا تحتاج هذه السنن الدنيوية الرتيبة، فهى كما وصفها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أمر فجائى منه بـ(كن فيكون) أى بين الكاف والنون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وعلى الرغم من ذلك فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من رحمته بنا قد أبقى لنا فى صخور الأرض، وفى صفحة السماء أعدادا كثيرة من الشواهد الحسية التى تقطع بفناء الكون، وبحتمية الآخرة، وأن الإشارة إلى تلك الشواهد الكونية لا يمكن أن تفسر بمحاولة التعرف على موعد الآخرة؛ لأن الآخرة من الغيبيات المطلقة التى لا يعلمها إلا الله؛ ولأنها لن تتم بالسنن الكونية المشاهدة فى هذه الحياة.

١١ ـ توظيف الحقائق العلمية القاطعة فى الاستشهاد على الإعجاز العلمى للآية أو الآيات القرآنية فى الموضوع الواحد، أو فى عدد من الموضوعات المتكاملة، وذلك فى جميع الآيات الكونية الواردة فى كتاب الله، فيما عدا قضايا الخلق، والإفناء، والبعث، التى يمكن فيها توظيف الآية أو الآيات القرآنية

الكريمة أو الحديث النبوى الصحيح للارتقاء بإحدى النظريات المطروحة إلى مقام الحقيقة.

١٢ - مراعاة التخصص الدقيق فى مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمى فى الآية القرآنية الكريمة؛ لأن هذا مجال تخصصى على أعلى مراحل التخصص، لا يجوز أن يخوض فيه كل خائض، كما لا يمكن لفرد واحد أن يغطى كل جوانب الإعجاز العلمى فى أكثر من ألف آية قرآنية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، خاصة وأن هذه الآيات تغطى مساحة هائلة من العلوم المكتسبة تمتد من علم الأجنة إلى علم الفلك، وما بينهما من مختلف مجالات العلوم والمعارف الإنسانية.

١٣ - الأخذ فى الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية الكريمة للوصول إلى حقيقة كونية لم يتوصل العلم المكتسب إلى شئ منها بعد، انطلاقًا من الإيمان الكامل بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، فى صفائه الربانى، وإشراقاته النورانية، وأنه كله حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١٤ - عدم التقليل من جهود العلماء السابقين فى محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة تلك الآيات الكونية فى حدود المعلومات التى كانت متاحة لهم فى زمانهم؛ وذلك لأن الآية الكونية الواردة فى كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية فى تكامل لا يعرف التضاد، حتى يظل القرآن الكريم مهيمنًا على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها. وهذا من أعظم جوانب الإعجاز فى كتاب الله.

١٥ - التفريق بين قضيتى الإعجاز العلمى والتفسير العلمى للقرآن الكريم، فالإعجاز العلمى يقصد به هنا «إثبات سبق القرآن الكريم» بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون. وأما التفسير فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيها المفسر فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، والمعول عليه فى ذلك هو نيته. وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ فى التفسير ينسحب على المفسر، ولا يمس جلال القرآن الكريم.

١٦ ـ يجب تحرى الدقة المتناهية فى التعامل مع كتاب الله، وإخلاص النية فى ذلك والتجرد له من كل غاية، وتذكّر قول المصطفى ﷺ: **«من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»**(١).

مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

من مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ما يلى:

أولاً: إن القرآن الكريم أنزل إلينا لنفهمه، والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها فهمًا صحيحًا فى إطار اللغة وحدها ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ، انطلاقًا من شمول الدلالة القرآنية، ومن كلية المعرفة التى لا تتجزأ.

ثانيًا: إن الدعوة بالإعجاز العلمى لكلّ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هى الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا ـ عصر العلم والتقنية ـ الذى فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، ونبذوا الدين وراء ظهورهم ونسوه، وأنكروا الخلق والخالق، كما أنكروا البعث والحساب والجنة والنار، وغير ذلك من الغيبيات؛ لأن هذه الأصول قد شوهت فى معتقداتهم تشويهًا كبيراً، ولم تعد مقنعة لهم، وعلى ذلك فلم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين إلا الإعجاز العلمى فى كتاب الله وفى سنة خاتم أنبيائه ورسله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين.

ثالثًا: الأصل فى الحضارات أنها تتكامل فيما بينها ولا تتصارع، ولكن فى زمن العولمة الذى نعيشه تحاول الحضارة المادية الغالبة ـ بما فيها من كفر بواح أو شرك صراح ـ أن تفرض من قيمها الهابطة، وأخلاقياتها الساقطة، وادياتها الجارفة على غيرها من الحضارات، وتوظف فى ذلك كل ما توفر لها من وسائل الغلبة المادية وأسبابها. وليس احتلال شراذم الصهاينة المجرمين لأرض فلسطين، وتجبرهم فى تعذيب وإذلال أهل الأرض الأصليين، ومحاولات القضاء عليهم، ولا الغزو الغربى الأنجلو أمريكى الجائر لكل من أفغانستان والعراق، ولا جرائم كلّ من الصرب والكروات على أرض البلقان، ولا الدعوات الباطلة بحتمية الصراع بين

---

(١) الترمذى (٢٩٥٠-٢٩٥١)، وأحمد (١/ ٢٣٣).

الحضارات، أو تبرير العديد من الجرائم والاعتداءات على حقوق الإنسان وعلى أراضى دول أعضاء فى هيئة الأمم تحت مظلة الدعوى الباطلة المسماة بالحرب ضد الإرهاب، أو الدعاوى الكاذبة تحت مسمى الخوف من الإسلام إلا حلقات فى هذا المخطط الشيطانى اللعين. وقد أسقط الأعداء من أيدى المسلمين فى هذه الأيام كل الوسائل المادية التى يمكن لهم الدفاع بها عن دمائهم، وأعراضهم، وأراضيهم، وممتلكاتهم، ودينهم، ومقدساتهم، وذلك فى سلسلة طويلة من المؤامرات التى بدأت باحتلال غالبية الدول المسلمة، والعمل على تغريبها، ثم السعى الدءوب من أجل إلغاء دولة الخلافة الإسلامية بعد إنهاكها وإضعافها حتى تم إسقاطها فى الربع الأول من القرن العشرين (سنة ١٩٢٤م)، ثم العمل على تمزيق الأمة إلى أكثر من خمس وخمسين دولة ودويلة، ونهب كل خيراتها وثرواتها، وتنصيب أنماط من الحكومات المتعارضة عليها للحيلولة دون إمكانية توحدها، بل العمل الدءوب من أجل المزيد من تفتيتها فى زمن التكتلات البشرية الكبيرة الذى نعيشه، ثم غرس كيان صهيونى غريب من حثالات الأمم ونفايات الشعوب فى قلب الأمة لإفسادها، وإثارة الحروب والقلاقل والفتن بين أبنائها، ولترسيخ العداوات بين الأشقاء للحيلولة دون توحدهم، وإشاعة الأفكار الهدامة، والسلوكيات المنحطة، والأخلاقيات المنهارة لإخراج الأمة عن دينها، وأخلاقها، وقيمها، وأعرافها، والعمل على المزيد من تغريبها لتيسير الهيمنة عليها.

ولم يبق بأيدى أمة الإسلام من طوق للنجاة فى زمن الغربة الذى نعيشه إلا المحافظة على دينها، هذا الدين الخاتم الذى لا يرتضى ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ من عباده دينًا سواه، وهو وسيلة الدفاع الوحيدة التى بقيت بين أيدى مسلمى اليوم لحماية أنفسهم ولإنقاذ غيرهم من الأمم الضائعة من حولهم، والتى تهدد العالم كله بالدمار.

رابعًا: إن كلاً من الإسلام والمسلمين يتعرض اليوم لهجوم شرس فى كافة وسائل الإعلام بغير حق، والقائمون على تلك الوسائل من غلاة الصهاينة وغلاة الصليبيين، وأعداء القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة وأصول الدين، ومن الشواذ جنسيًا وسلوكيًا والداعين إلى ذلك علنًا بلا أدنى حياء أو خجل، هؤلاء جميعًا ينكرون سماوية الإسلام، وربانية القرآن، ونبوة خاتم المرسلين ﷺ أو ينكرون

الدين كلية فى وقاحة وبجاحة سافرة، وأهم الوسائل وأنجعها للرد على هذا الهجوم هو إثبات الإعجاز العلمى لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة البالغة، والمنطق السوى.

خامسًا: إن العالم اليوم يتحرك فى اتجاه كارثة كبرى، وقودها تطور علمى وتقنى مذهل، يُطغى أصحابه ويُغريهم بإفناء وإبادة غيرهم، فى غيبة الوعى الدينى الصحيح والالتزام الأَخلاقى والسلوكَى اللذين يرعيان حق الله، وحقوق الأخوة الإنسانية حق رعايتها، والمخرج من ذلك هو الدعوة للدين الحق، ومن أوضح وسائل الدعوة إليه هو ما فى كتاب الله، وفى سنة رسوله ﷺ من إعجاز علمى واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار، يقنع المنبهرين بالعلم ومعطياته فى زمن تفجر المعارف العلمية الذى نعيشه كما لا يقنعهم أى أسلوب آخر.

سادسًا: إننا - معشر المسلمين - قصرنا كثيراً فى التبليغ عن الله وعن رسوله ﷺ، وقد كلفنا بالتبليغ عنهما، ونحن اليوم نجنى ثمار ذلك التقصير كله: حروبًا طاحنة على كل أرض إسلامية من فلسطين والعراق إلى البلقان، ومنها إلى أرض الشيشان، وكشمير، وأفغانستان، وجنوب الفيليپين، وأراكان، والصومال، والسودان وغيرها من أراضى المسلمين الغارقة فى بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار، وإنا لله وإنا إليه راجعون. هذا بالإضافة إلى حصار لأكثر من دولة مسلمة، ومصادرة لبلايين الدولارات من أموال المسلمين، واحتلال عسكرى مقنع لكل دولة من دول الجزيرة العربية وغالبية بلاد الشام والعراق، وأفغانستان، ومن الأراضى المغربية سبته ومليلة وجزيرة ليلى، والعديد من الجزر الآسيوية.

وفى غمرة هذه المؤامرات الغربية لا ننسى مطاردة المسلمين فى كل مكان من أماكن العالم ومحاولة اعتقالهم وتجريمهم، وإذلالهم، وتشويه سمعتهم بوصفهم بالإرهاب تارة وبالتخلف أخرى، وليس ببعيد عن الأذهان ما يجرى للمسلمين اليوم من إذلال وامتهان وتجاوزات لكل حقوق الإنسان فى معتقلات وسجون كل من الولايات المتحدة والبحر الكاريبى (من مثل معتقل جوانتانامو) والعراق (من مثل سجن أبو غريب) وأفغانستان.

سابعًا: إن فى إثارة قضية الإعجاز العلمى لكلٍّ من القرآن الكريم، وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ استنهاضًا لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعى فيها، وتشجيعًا على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التى تخلفت فيها الأمة مؤخرًا تخلفًا كبيرًا، فى الوقت الذى تقدمت فيه دول العالم الصناعية تقدمًا مذهلاً، حتى أصبح كم المعارف المتاح يتضاعف كل خمس سنوات، وتتجدد تقنياته مرة كل ثلاث سنوات تقريبًا، وبذلك أخذت الهوة الفاصلة بيننا وبينهم فى مجال العلوم والتقنية تزداد اتساعًا وعمقًا يومًا بعد يوم، وأصبحت مخاطر ذلك علينا تتضاعف مع تزايد تلك الهوة عمقًا واتساعًا.

***